مجلة تسليم
Journal Homepage: https://tasleem.alameedcenter.iq
ISSN: 2413-9173 (Print) ISSN 2521-3954 (Online)

فِي التَّسْلِيمِ القُرْآنِيِّ:

التَّنَاصُّ القُرْآنِيُّ فِي خُطَبِ التَّوَّابِيْنَ (٦١_٦٥هـ) قِرَاءَةٌ تَحْلِيْلِيَّةٌ

إسراء محمد رضا صلال [١]

١ جامعة الكوفة / كُلِّيَّة اللُّغات/ قسم اللغة الفرنسية، العراق؛

Israam.eakrawe@uokufa.edu.iq

دكتوراه في اللغة العربية / مدرس

تاريخ التسلّم	تاريخ القبول	تاريخ النشر
٢٠٢٥/٣/١١	٢٠٢٥/٤/٢١	٢٠٢٥/١٢/٣١

المُجَلَّـدُ (٢٤) العَـــدَدُ (٣٦)
رَجَبُ الأَصَبُّ ١٤٤٧هـ . كَانُونُ الأَوَّلِ ٢٠٢٥م

DOI: 10.55568/t.v24i36.1-21

CC BY NC

مُلَخَّصُ البحْث:

يتناول هذا البحث مفهوم التناصّ في اللغة والاصطلاح، مع نبذة مختصرة عن أصوله في الدراسات النقديَّة ولاسيَّما الغربيَّة منها، وخصوصيَّة التناصّ مع القرآن الكريم؛ ويعرّف أيضا بالتوابين، ولماذا اكتسبوا هذا اللقب، وماهيَّة حركتهم على نحو مختصر، وذلك ليكون مدخلًا نظريًّا لمحتوى البحث، الذي خاض في ما وصل إلينا من خطب قادة هذه الحركة الذين اتخذوا من القرآن الكريم مصدراً لأفكارهم ومسهماً كبيراً في بنية خطابهم السياسيِّ والتعبويِّ، ولا عجب في ذلك إذا عرفنا أن مبعث هذه الحركة السياسيَّة مبعثٌ دينيٌّ؛ وقد انقسم هذا البحث على مبحثين أو قسمين تناولت في الأوَّل التناصّ المباشر، وهو ما اقتُبست فيه الآيات الكريمة حرفيًّا مع الإشارة إلى مصدر الاقتباس، أمَّا المبحث الثاني فقد تناول التناصّ غير المباشر وهو ما لم يُشر المنشئ إلى استقائه من القرآن الكريم، وإنَّما ظهر ذلك باستعماله المفردات القرآنيَّة والمفاهيم الدينية التي جاء بها القرآن الكريم، وتمحص عنها البحث، والخوض في هذا الموضوع أفضى إلى عدة نتائج أوردناها في خاتمة البحث، والله من وراء القصد.

الكلمات المفتاحية: الخطابة، التوابون، التناصّ المباشر، البلاغة القرآنية، التأثير القرآني في الخطاب.

Quranic intertextuality in the rhetorics of Altawaabin (61_65 AH) Analytical reading

Israa Mohammed ridha Sallal [1]

1 University of Kufa / College of Languages / Department of French Language,Iraq

Israam.eakrawe@uokufa.edu.iq

PhD. in Arabic Language/ Lecturer

Received:	Accepted:	Published:
11/3/2025	21/4/2025	31/12/2025

DOI: 10.55568/t.v24i36.1-21 Volume (**24**) Issue (**36**) Vol.24, Issue No. 36 Rajab 1447 AH / December 2025 AD

Abstract:

This research addresses the concept of Intertextuality linguistically and technically, with a brief overview of its origins in critical studies, especially in the West. It also focuses on the specificity of intertextuality with Glorious Quran. Furthermore, it provides an introduction to the Tawwabin, why they acquired this title, and the essence of their movement in brief. This serves as a theoretical introduction to the research content, which delves into the documented orations of the leaders of this movement. These leaders adopted Glorious Quran as a source for their ideas and a major contributor to the structure of their political and mobilization discourse. Such is predictable as the origin of this political movement was religious.

The research goes with two sections: firstly , direct Intertextuality , that deals with the blessed ayats , is to quote verbatim with an explicit reference to the source of the quotation. Secondly, the indirect Intertextuality in which the author (orator) did not explicitly employ a quote from Glorious Quran, but it becomes apparent through the use of Quranic diction and religious concepts from Quran.

Keywords: Oratory, Tawwabin, Direct Intertextuality, Quranic Eloquence, Quranic Influence on oration .

مقدِّمة

يستعمل النقد الحديث أدواته بوصفها وسائل لتحليل النصوص وسبر أغوارها، وبذلك انتقل عمل الناقد من السياقات الخارجيَّة للنصِّ وهي (المؤلِّف والموقف) أو الحال، إلى البنية الداخلية للنصِّ، مما يتيح فرصة أكبر للنظر الفاحص الدقيق، فيجعل ذلك من النص مرآة واضحة تنقل لنا السياقات الخارجيَّة الحقيقيَّة للقول، من خلال فهم المقاصد الحقيقيَّة له، والخطابة فنٌّ ابلاغي بديع، كان وما زال من أروع أشكال التأثير في المخاطَب، خصوصاً إذا ما اقترن بالموضوعات العامَّة، السياسيَّة والدينيَّة، التي تهم المجتمع بشكل عام.

وهذا البحث يحاول التقصِّيَ عن التناصّ مع القرآن الكريم في خطب فئة من المسلمين، انبثقت حركتهم بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، ثأراً له ورغبة في نيل درجة لشهادة التي حظي بها، وعداءً لقاتليه، ولأنَّ الإمام الحسين عليه السلام شخصيَّة دينيَّة سياسيَّة تهم المسلمين بشكل عام، لذا فقد كان لفنِّ الخطابة دور في تعزيز أفكار هذه الحركة وتسويقها لعامَّة الناس.

وقد يقول قائل ما فائدة أن ندرس ظاهرة عامَّة، ترد في جميع خطب المسلمين؟، وما مزية هذا التناصّ في خطب التوَّابين بالذات؟ ونجيب على ذلك بأنَّ اختيار التوَّابين لآيات بعينها، تنبي عن حقيقة ثورتهم، ومبدأهم وهدفهم الذي لم يشبه أيَّ ثورة أخرى، إذ كانت حركتهم إعلاناً للتوبة عن ذنب اقترفوه، ولم يكونوا يروا سبيلاً للتكفير عن هذا الذنب سوى التضحية بالنفس، لذلك اختاروا آياتٍ معيَّنة لتكون سبيلاً للدعوة إلى مذهبهم، والبرهنة على صدق دعواهم، وهذا ما حدا بنا لدراسة هذه الظاهرة في هذا البحث، محاولين الكشف عن مداليل هذا الاستقاء ومواضعه، على وفق منهج علميٍّ يقسم التناصّ على نوعين رئيسين هما التناصُّ المباشر وغير المباشر، وقد اعتمدنا على كتاب (تاريخ الطبريّ) الذي ذكر هذه الخطب ونقلها عنه بقية المؤرِّخين.

وإنَّ البحث في الآيات القرآنيَّة المقتبسة في هذه الخطب، يحلِّل لنا الدوافع الحقيقيَّة لهذا الاختيار، ويبيِّن التوجُّه والمقصد الذي ترمي له الخطبة، لذا فقد ابتدأ البحث بمدخل نظريٍّ يوضِّح ماهيَّة التناصّ، ويعرّف بالتوَّابين، ويحلِّل تناصاتهم مع القرآن الكريم في مبحثين، تناول الأوَّل التناصّ المباشر، وهو ما اصطلح عليه بالاقتباس، وتناول المبحث الثاني التناصّ غير المباشر، ومن خلالهما تتفتق لنا أكمام المعرفة بهذه النصوص، وتعيننا على تحليلها وإلقاء الضوء عليها من هذا الجانب.

مدخل نظريٌّ:

أوَّلًا: التناص (Intertext): مصطلح نقديٌّ غربي حديث انتقل إلينا عبر الترجمة، وظهر على يد جوليا كرستيفا التي عرّفته بأنَّه: "تقاطع نصوص، ووحدات من نصوص في نصٍّ أو نصوص أخرى" [١]

وإذا ما بحثنا عن جذر كلمة تناصّ في لغتنا العربيَّة، عدنا به إلى الجذر (نصص)، والنص في اللُّغة رفع الشيء، ويقال: نصَّ المتاع إذا جعل بعضه فوق بعض[٢]، ونص الشيء منتهاه، ونصّت، ونصصت الشيء إذا حركته، ويقال انتصّ الشيء وانتصب إذا استوى واستقام[٣] وتناص القوم إذا ازدحموا[٤].

وإنَّ في هذه المعاني ما يقترب من مصطلح التناصّ بمفهومه النقدي فالتناصّ: هو ازدحام مجموعة نصوص وحشدها في نصٍّ واحد عبر علاقات فنِّيَّة ولغويَّة، وقد أورد الأستاذ محمَّد التونجي مصطلح التناصّ في معجم علوم العربيَّة بأنَّه "وصف لإدخال نص في آخر، ممَّا يمكِّن المتلقِّي من معرفة حدود النصَّين: الحاضر والغائب، إذ تنبثق من أسلوب ما، فيه جدليَّة بين نصَّين، فالنصُّ يُصنع من نصوص تتزاحم

١ واصل, عصام حفظ الله. التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر_أحمد العواضي أنموذجاً الأردن, (٢٠١١), ١٥.
٢ ابن منظور, أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي. لسان العرب, ١٩٩٢ مادة نصص ,٧/ ٩٧.
٣ ابن منظور, مادة نصص ,٧/ ٩٧.
٤ الزبيدي, مرتضى محمد بن محمد. شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس المطبعة الخيرية, (١٨٨٨), مادة (نصّ)، ١/ ٤٤٠.

إلى الذهن، وتتداخل في علاقات، تقوم على المحاورة والتعارض والتنافس[٥]

فالتناصُّ مفهوم يدلُّ على استحضار نصوص أخرى إلى المنجز اللفظي، وقد يكون هذا الاستدعاء بجزء من النصِّ المأخوذ منه، أو بإشارة تدلُّ عليه، وقد يذكر المنشئ مصدر القول أو لا يذكره، وهو يضيف بذلك إلى نصه تعزيزاً وشحنة من روح النص السابق التي تتَّحد وتتفاعل مع النصِّ اللاحق.

ويكاد يكون التناصّ خاصِّيَّة ملازمة لكلِّ إنتاج لغويٍّ مهما كان نوعه، فليس ثمَّة كلام ينطلق من الصمت، مهما كان طابعه خاصا[٦]، ويندرج التناصُّ مع القرآن الكريم ضمن التناصِّ مع النصوص التراثيَّة الغائبة، الذي يعني انفتاح النصوص على خارجها وامتلاءها بخطابات شتَّى سابقة عليها، ويسمَّى هذا النوع من التناصِّ بالتناصِّ الخارجيِّ الذي يعني "تداخل النصِّ مع الكم الهائل من النصوص التي يمتلئ بها العالم"[٧]

وظهور أثر القرآن الكريم في النصوص اللاحقة عليه أمر بديهيٌّ، يعود إلى سببين رئيسين، **الأوَّل**: أنَّه نصٌّ إلهي معجز يتمتَّع بالقدسيَّة ويقترن باليقين لدى المؤمنين به، لذا فإنَّ إيراد آياته فيه تعزيز لادِّعاء من يورد آياته، وتعضيد لأدلة المتكلِّم.

أمَّا **السبب الثاني**: فهو ما يتمتَّع به النصُّ القرآنيُّ من أسلوب جماليٍّ مميَّز وعمق دلاليٍّ منقطع النظير، وباستعمال تقنيَّة التناصّ القرآنيِّ يشحن الكاتب نصَّه بطاقة جماليَّة ودلاليَّة مستمدَّة من عظمة هذا النصِّ، ويتقيَّد مستوى هذه الشحنة بأسلوب الكاتب وإجادته التناصّ مع القرآن الكريم.

ولا غرابة في أن نجد الكثير من المقولات الأدبيَّة من الشعر والنثر، والخطب بشكل خاصٍّ تتأثَّر بأسلوب القرآن، وألفاظه ودلالاته، لأنَّ هذا الكتاب المعجز ملأ

---

٥ التونجي, محمد. معجم علوم العربية دار الجيل, (٢٠٠٣), ١٥٨_١٥٩.

٦ الجزار, محمد فكري. لسانيات الاختلاف، الخصائص الجمالية لمستويات بناء النص في شعر الحداثة,ط٢. القاهرة, (٢٠٠٢), ١/ ٢٩٦.

٧ حماد, حسن محمد. تداخل النصوص في الرواية العربية الهيأة المصرية العامة للكتاب, (١٩٩٧), ٤٦.

الدنيا وشغل الناس، وعكف عليه المسلمون تلاوةً وحفظاً وتدارساً، وتعاهدوه آناء الليل وأطراف النهار فأصبح يشكِّل جزءًا واضحًا وكبيرًا من مخزونهم اللغويِّ القارِّ في الأذهان، ولا بدَّ أن يستعين كلُّ متكلِّم بمخزونه اللُّغويِّ فيظهر الكلام مُحيلاً إلى النصِّ القرآنيِّ يمت له بصلة، وبشكل من الأشكال.

ثانيًا: التوَّابون

لقب أطلق على فئة من الشيعة الذين آلمهم مقتل الحسين عليه السلام، فندموا على تخاذلهم عن نصرته، وأعلنوا الثورة على قاتليه في محاولة منهم للتكفير عن هذا الذنب وغسل العار الذي لحق بهم، بقتلهم قاتلي الإمام الحسين عليه السلام أو موتهم دون هذه الغاية.[٨]

وقد انبثقت حركتهم من الكوفة بزعامة خمسة من كبار الشيعة المتقدِّمين في السنِّ، وهم: سليمان بن صُرَد الخزاعيِّ، والمُسيَّب بن نجبة الفزاريّ، وعبد الله بن سعد بن نفيل الأزديّ، وعبد الله بن وال التميميّ، ورفاعة بن شدَّاد البجليّ[٩]

وكان قيامهم سنة ٦٥ للهجرة[١٠]، وقد أعدُّوا لهذا الخروج ما استطاعوا من تحريض الناس وتحشيدهم، ومكاتبة زعماء القبائل وطلب النصرة من شيعة البصرة والمدائن، وانتهت هذه الثورة بمعركة امتدَّت أيَّامًا بين التوَّابين وجيش عبيد الله بن زياد في منطقة تُدعى (عين الوردة) وعُرفت المعركة بهذا الاسم أيضا، أظهر فيها التوَّابون وقادتهم بسالة منقطعة النظير وثباتًا في الموقف حتَّى نيل الشهادة[١١].

وكان لا بدَّ لهذه الثورة من لسانِ خطيبٍ، يُذكّر بفضل آل رسول الله عليهم السلام، وفضل الإمام الحسين عليه السلام، وفجيعة مصرعه على أرض كربلاء وسبي عياله من بعده، والتحريض على الانتقام له، والحثِّ على نبذ الدنيا وابتغاء الآخرة زهداً في الدنيا بعد استشهاد ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله؛ وقد نقلت لنا كتب التاريخ مجموعة من

٨ بيضون, د. إبراهيم .التوابون, ط٢. بيروت-لبنان: دار التعارف للمطبوعات, (١٩٧٥), ٤٦.
٩ بيضون, ٩٩.
١٠ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري, تاريخ الطبري(تاريخ الرسل والملوك),ط٥. مصر,(د.ت.), ج٥ / ٥٥١.
١١ محمود قانصو, ما بعد كربلاء, ط٢. إيران, (٢٠٠٦), ١٩٠_١٩٣.

الخطب التي قالها زعماء التوَّابين ودعاتهم، وظهر فيها التناصّ القرآنيّ بشكل ملفت، وهذه عادة الخطباء العرب بعد الإسلام، حتَّى أنَّهم عابوا الخطبة الخالية من آيات القرآن الكريم، وأطلقوا عليها لقب (الشوهاء).

حتَّى أنَّ الجاحظ يفتتح باب الخطب في كتابه الشهير (البيان والتبيين) بالقول: **"وعلى أنَّ خطباء السلف الطيِّب، وأهل البيان من التابعين بإحسان، ما زالوا يسمُّون الخطبة التي لم تبتدئ بالتحميد، وتستفتح بالتمجيد: (البتراء)، ويسمُّون التي لم توشَّح بالقرآن، وتُزين بالصلاة على النبيِّ ﷺ: (الشوهاء)"**[١٢].

المبحث الأوَّل: التناصُّ المباشر

يُقصد بالتناصِّ المباشر: الاقتباس الحرفيّ للنصوص[١٣]، وعادة ما يشير المنشئ إلى اقتباسه القول بذكر قائله الأصلي، أو بوضعه النصّ المُقتبس بين قوسي التنصيص، ويكاد يكون ذكر آية أو آيات من القرآن الكريم أمراً فنيًّا ثابتًا ضمن قواعد الخطبة، حتَّى عُدَّ خلوُّ الخطبة من آيات الكتاب العزيز عيباً.

ولا أظن أنَّ التوَّابين عمدوا إلى الاقتباس رغبةً في التحسين الفنِّيِّ، ولكن هؤلاء الزعماء هم من كبار الشيعة ومن خيرة التابعين المعروفين بتلاوتهم للقرآن وكثرة العبادة، ففضلاً عن تشرُّبهم لآيات القرآن الكريم، بحيث أصبحت لغة القرآن تشكِّل جزءًا كبيرًا ومهمًّا من مخزونهم اللُّغويِّ، عمدوا إلى الاقتباس القرآنيِّ لدلالته الثابتة والعميقة الجذور فآياته أجدر بالاتِّباع، ووجودها أدعى للإقناع، بل إنَّ الخطاب القرآنيَّ هو سلاحهم الأقوى في جذب الأنصار لأنَّهم يُقدمون على عمل عظيم، وهو مجابهة قوَّة الدولة العسكريَّة المعروفة بطغيانها وقسوتها وجبروتها، مع امتلاكها القوَّة الماليَّة التي تشتري بها الذمم، فلا يبقى إلَّا التمسُّك بالقرآن وأدلَّته للوقوف بوجه هذا التيار الجارف من الظلم والقسوة، وإيقاظ

١٢ الجاحظ, أبو عثمان عمرو بن بحر. البيان والتبيين بيروت, (٢٠٠٢), ج ٢ , ٦.
١٣ أحمد الزعبي, التناص نظريا وتطبيقيا (عمان, ٢٠٠٠), ٢٩.

الأمَّة من السبات على الذلِّ طمعاً في تحقيق العدل وتحصيل الكرامة المسلوبة.

- ونجد هذا اللون في خطبة المُسيَّب بن نجبة في أول اجتماع لقادة التوَّابين، إذ قال بعد أن حمد الله وأثنى على رسوله ﷺ:

" أمَّا بعد، فإنَّا قد ابتلينا بطول العمر، والتعرُّض لأنواع الفتن، فنرغب إلى ربنا ألا يجعلنا ممَّن يقول له غدًا ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ " (فاطر:٣٧).[١٤].

نجد أنَّ المنشئ هنا اقتبس جزءاً من آية كريمة، مشيراً إلى مصدرها الأصل (القرآن الكريم)، وذلك لتعزيز فكرته التي ابتدأ منها، وحجَّته التي أراد إلقاءها على رفاقه ممَّن يقتربون من سنِّه، وهم وجوه القوم وكبار الشيعة، الذين انطلقت منهم فكرة الطلب بثأر الإمام الحسين عليه السلام، فقد قيلت هذه الخطبة في أوَّل اجتماع رسميٍّ أعلنت فيه ثورة التوَّابين، إذ قرن بهذا النصّ القرآنيّ السياق المرافق له، وهو حال أهل النار الذين يطلبون من الله عزوجل السماح لهم بالعودة لعلهم يعملون الصالحات، فيحتج عليهم الله (تبارك وتعالى) بما أمدَّهم به من طول العمر الذي لم يستثمروه للعمل الصالح، قرنه مع سياق حال الشيعة الذين تخاذلوا عن نصرة الإمام الحسين عليه السلام وانتظروا ما يكون من أمره، حتى قُتل قريباً منهم، فعدّوا ذلك التخاذل خطيئة موجبة لدخولهم النار، بعد أن أمد الله عزوجل في أعمارهم كما توضح الخطبة (**أُبتلينا بطول العمر..**)، فالمُسيَّب بن نجبة بهذا التناص أراد أن يحث صحبه على تدارك هذه الخطيئة بالتوبة قبل الموت، لا سيَّما إنَّ كثيراً من هؤلاء كان ممَّن كاتبَ الإمام الحسين عليه السلام، واستنجد به، وأعلن له النصرة ليكون مُخلّصاً لهم من ظلم الأمويين، ويثبت هذا ما رواه الطبريّ عن محمَّد بن بشير الهمدانيّ فيقول: "اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد، فذكرنا هلاك معاوية، فحمدنا الله عليه، فقال لنا سليمان بن صرد: إنَّ معاوية قد

١٤ الطبري, تاريخ الطبري(تاريخ الرسل والملوك), ٥/ ٥٥٢.

هلك، وإنّ حسيناً قد تقبّض على القوم ببيعته، وقد خرج إلى مكة، وأنتم شيعته وشيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوّه فاكتبوا إليه، وإن خفتم الوهن والفشل، فلا تغرّوا الرجل من نفسه. فقالوا: بل نقاتل عدوَّه، ونقتل أنفسنا دونه. فقال: فاكتبوا إليه"[١٥]، فسليمان الذي كان من كبار شيعة الكوفة، لم يكتفِ بالكتابة للحسين عليه السلام، بل حثَّ الشيعة على الكتابة إليه أيضًا. وهذا الفعل يُعظّم الشعور بالذنب في نفس هذا الرجل، ويجعل من نزعة التطهير من هذا الذنب تدفعه إلى إعلان التوبة ولو بالدم، وليس من سبيل لإثبات هذه التوبة وهذا الندم إلَّا بالمطالبة بدم الحسين عليه السلام، وقتل قاتليه أو الموت في سبيل ذلك؛ فيكونوا بذلك قد كفَّروا عن هذا الذنب العظيم الذي أقضَّ مضاجعهم وسحق كرامتهم.

- ومثل هذا التناصّ نجده في خطبة سليمان بن الصُّرَد الخزاعي، يوم توليته قائدًا على حركة التوَّابين، إذ قال فيها:

"ألا انهضوا فقد سخط ربُّكم ولا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتَّى يرضى الله والله ما أظنُّه راضيًا دون أن تناجزوا من قتله أو تبيروا، ألا لا تهابوا الموت فوالله ما هابه امرؤ قط إلا ذلَّ، كونوا كالأولى من بني إسرائيل إذ قال لهم نبيهم ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ (البقرة:٥٤) فما فعل القوم؟ جثوا على الركب والله، ومدوا الأعناق ورضوا بالقضاء حتَّى حين علموا أنَّه لا ينجيهم من عظيم الذنب إلَّا الصبر على القتل؛ فكيف بكم لو قد دعيتم إلى مثل ما دعي القوم إليه.."

أمر بديهي أن يحثّ الخطيب _في الدعوة إلى الجهاد والحرب_ على نبذ الدنيا ومواجهة الموت، وعدم الخوف من سيوف المنيَّة، لكن اللافت في الأمر أنَّ التناصَّ مع هذه الآية القرآنيَّة بالتحديد، بما تحمله من دلالة، لذا جاء مختلفاً، فالداعي إلى الحرب

١٥ الطبري, ٤/ ٢٦١.

يحض جنوده بالتلويح ببشائر النصر، وبالتذكير بشجاعة الجند وبأسهم، وهذا ما جرت عليه العادة والعُرف.

أمَّا هنا فالخطيب يعتقد بأنَّ قتل النفس هو السبيل الوحيد للتكفير عن الخطيئة، فلم يعدهم سليمان بالجنة ونعيمها لقاء جهادهم، لأنَّ فكرة الذنب هي المهيمنة في سياق الحال، كما هيمنت فكرة عبادة العجل على سياق الآية الكريمة، وهذه الثورة _بنظر الخطيب_ هي الحل الوحيد للتكفير عن الذنب، وربَّما كانت هذه الفكرة دافعاً للاستماتة في (عين الوردة) وكأنَّ القتل فيها دليل على قبول التوبة.

ولم يكتفِ القائل بالاستشهاد بالآية الكريمة بل قرنها بالتفسير بأسلوب سرديٍّ، يتَّضح فيه التأثُّر والانفعال بدليل الاستعانة بالقَسَم بلفظ الجلالة **"جَثوا على الركب (والله)"**

ففضلاً عن دلالة الآية التي تعبِّر عن الندم على الذنب، وتبيان سبيل التوبة، جاء التناصُّ لإيضاح التشابه بين الحالين (حال بني إسرائيل حين عبدوا العجل، وحال المتخلِّفين عن نصرة الحسين عليه السلام حين رضخوا لابن زياد)

فدلالة الاقتباس القرآنيّ ودوره في النصِّ محوريّ، وأساسيّ، وعليه قامت ثورة التوَّابين، فهو ليس مجرَّد تطعيم للنص بآيات من القرآن، بل هو بيان مبدأ الثورة وسبب انطلاقها وركيزتها الأساسيَّة.

- وفي الخطبة ذاتها نجد اقتباساً قرآنيًّا آخر كثيراً ما يرد في مورد الحث على القتال، قوله:

"اشحذوا السيوف، وركّبوا الأسنَّة، **﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾**(الانفال:٦٠) **حتَّى تُدعوا حين تُدعَون وتُستنفرون**[١٦]"

وعادة ما يكون ذكر هذه الآية الشريفة إيذانًا ببدء الثورة، فهي تحمل أمر الإعداد والاستعداد لها، المادّي والمعنويّ، وهي كثيرة الورود في خطب الحرب.

١٦ الطبري, ٥/ ٥٥٤.

وقد حدثتنا كتب التاريخ عن الحملة التي قام بها التوَّابون لتحصيل السلاح وجمعه، ولم يكن ذلك بالأمر الهيِّن، بل كانت الظروف صعبة جدًا، وتقتضي عملاً سرِّياً، ومبالغ طائلة، ممَّا أخّر قيام ثورة التوَّابين عدَّة أشهر.

- ومن التناصَّات المباشرة في خطب التوَّابين قول عبيد الله بن عبد الله المرّي (وكان من دعاة أهل المِصر زمان سليمان بن الصُّرَّد)[١٧] إذ كان يبدأ خطبته بحمد الله والثناء على نبيِّه ﷺ، وينطلق من فضله ﷺ إلى مراده، فيقول:

" وأعزكم باتباعه وأكرمكم بالإيمان به فحقن به دماءكم المسفوكة، وآمن به سبلكم المخوفة ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٣) [١٨]

فهو يعدُّ إرسال محمَّد ﷺ بالنبوَّة وسيلة إنقاذ الناس من السقوط في حفرة من حفر النار، ويذكرنا هذا الاستعمال بقول السيدة الزهراء عليها السلام في خطبتها الفدكية:

"وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون الورق، أذلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمَّد ﷺ بعد اللتيا والتي.."[١٩]

فكأنَّ هذا التناصّ مركّب، ففي كلام الزهراء عليها السلام نجد أنَّها استقت من القرآن الكريم بتناصّ غير مباشر، وأوضحت فكرة الإنقاذ بإرسال النبي المنقذ للبشريَّة، أمَّا في خطبة عبيد الله بن عبد الله المرّي نجد أنَّه جمع بين النصين السابقين واستقى منهما في بناء خطبته، ولكن في تناص مباشر هذه المرَّة بذكر الآية القرآنيَّة كاملة. وفي هذه التناصَّات القرآنيَّة تجلَّت عوامل قيام ثورة التوَّابين وطلبهم الثأر من قتلة الحسين عليه السلام، وأوَّلها الندم والتوبة، والبرهنة على هذه التوبة في سلوك طريق

١٧ الطبري, ٥/ ٥٥٩.
١٨ الطبري, ٥/ ٥٥٩.
١٩ بستاني, محمود .أدب فاطمة الزهراء عليها السلام قم, (١٣٨٢ ش), ١٣.

النصر أو الشهادة، والعامل الآخر فضل محمَّد ﷺ وأهل بيته عليهم السلام على الناس، فإذا تخاذل الناس عن نصرتهم وطلب حقهم لِحَقِهم الذل والهوان في دار الدنيا والعذاب والخزي في الدار الآخرة، وتجلَّت أيضاً في الجديَّة في الاستعداد الحربيِّ وضرورته مع صعوبة توفُّره، وشحَّة الأموال والأنصار في قراع العدوِّ والجود بالأنفس باقتباس آية إعداد القوَّة ورباط الخيل.

المبحث الثاني: التناصّ غير المباشر

وهو الذي يتضمَّن فيه النصّ تلميحاً أو إيحاءً [٢٠] وقد يكون خفيًّا لا يستطيع القارئ العادي اكتشافه[٢١] وهذا النوع من التناصِّ يكون أبلغَ، لأنَّه يضمر النص السابق ولا يظهر منه إلَّا ما يدلُّ عليه، وهذا يشير إلى تجذُّر أثر النصّ الأوَّل في نفس المتكلِّم حتَّى أصبح جزءًا من لغته الخاصَّة، يحضر بشكل انسيابيٍّ في كلامه.

ووجدنا ذلك في مواضع عديدة من خطبة سليمان بن الصُّرَد في منطقة (عين الوردة) وهي:

- قوله: **"فقد أتاكم الله بعدوكم الذي دأبتم في المسير إليه آناء الليل والنهار"**[٢٢]
- فاستعماله عبارة (آناء الليل والنهار) الدالَّة على الاستمرار في الفعل في ساعات الليل والنهار نجدها من التعابير القرآنيَّة التي وردت في قوله تعالى:

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (آل عمران:١١٣)

وكذلك قول الله تعالى **﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ (طه: ١٣٠)**

وقوله تعالى **﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾**

٢٠ الزعبي, التناص نظريا وتطبيقيا, ٢٩.
٢١ الموسى ,خليل ."التناص ومرجعياته," مجلة المعرفة, العدد٤٦٧. ١٠٧ (٢٠٠٣).
٢٢ الطبري, تاريخ الطبري(تاريخ الرسل والملوك), ٥/ ٥٩٦.

(الزمر:٩)

ونلحظ أنَّ هذا التعبير في الآيات الكريمات يدلُّ على فعل المؤمنين، فهو مقترن بأفعال العبادة، فكأن سليمان أراد أن يوحي لأصحابه أنَّهم بمسيرهم إلى قاتل الإمام الحسين عليه السلام وطلبهم بثأره، يماثلون العابدين المخلصين في عبادتهم، الذين يجدّون في طلب مرضاة الله عزّ وجلّ كلِّ حين.

بل أكثر من ذلك، لأنَّ الذي يدأب على عمل في ليله ونهاره، يبذل جهداً كبيراً، ويريد أن يحقِّق غاية عظيمة لقاء هذا الجهد المبذول، وفي هذا الإيحاء دلالة على عظيم الانتظار والتلهُّف لملاقاة الأعداء، والأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام.

وهي دعوة إلى المواجهة بقوّة بغية تحقيق النصر، وعدم التخاذل أو الضعف بعد هذا الجهد المبذول آناء الليل وأطراف النهار.

- ومن التناصِّ القرآنيِّ في الخطبة ذاتها، قوله: **"فإذا لقيتموهم فاصدقوهم، واصبروا إن الله مع الصابرين"**[٢٣]

سياق الخطبة يدلُّ على أنَّها خطبة حربيَّة، قيلت في معرض استقبال المعركة، فلا بدَّ حينها من أن تحمل الخطبة وصايا للمقاتلين، تشدُّ عزائمهم وترشدهم إلى سبيل تحقيق النصر، وإنَّ من أهم ما يجب أن يتحلَّى به الجنديُّ هو الصبر، ورباطة الجأش، وقوَّة التحمُّل، لذا نجد الحثَّ على التحلِّي بالصبر في هذه الخطبة جاء بعبارة قرآنيَّة، وردت في الآيتين الكريمتين:

﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال:٤٦)

وقوله سبحانه: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾** (البقرة:١٥٣)

وفي سواهما من الآيات التي تحمل المضمون ذاته.

٢٣ الطبري, ٥/ ٥٩٦.

وقد توخّى الخطيب ذلك، لما في النصِّ القرآنيِّ من شحنة نفسيَّة وجماليَّة تدفع الإنسان المؤمن به إلى تلقّي الصعاب والأهوال بصدر رحب وروح راضية، هذا من جانب عامّ؛ أمَّا الجانب الخاصّ فهو استعمال هذه العبارة بالذات (إنَّ الله مع الصابرين)، فهي وعد ضمنيّ بالنصر، فمن يكن اللهُ معه لن يُهزم طبعًا ولن يخسر، فضلًا عن دلالة الآيات المذكورة ومواقعها في سوَرِها، فكلاهما جاءت في سياق يتحدَّث عن الحرب والجهاد، أمَّا الأولى فمن صميم التجهُّز للمعركة وخوضها، وأمَّا الثانية، فقد جاءت في الصبر على القتل ومكانة الشهيد الصابر لدى الله ﷻ.

وفي مورد حثِّ المقاتلين على الثبات نجد قول سليمان بن الصُّرَّد **"ولا يولينهم امرؤٌ دبره إلَّا متحرفاً لقتال أو متحيِّزاً إلى فئة.."**[٢٤]

وهذا تناصٌّ واضح مع قوله تعالى:﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾(الأنفال:١٦)

ومع وضوحه إلَّا إنَّنا لم ندرجه ضمن مبحث التناصِّ المباشر، لأنَّ المنشئ لم يقتبس آية ويشير إلى أصلها، إنَّما ضمَّن العبارات التوجيهيَّة التي استعملها القرآن لتعبئة المقاتلين وتهيئتهم لخوض المعارك، وذلك لإضفاء القدسيَّة والإلزام على فعل الثبات أمام العدوِّ وعدم الفرار لأنَّه أمر إلهي ورد في القرآن الكريم الذي يقدِّسه المسلمون.

- في خطبة أخرى لسليمان بن الصُّرَّد أيضاً يقول فيها: **"أمَّا بعد أيها الناس، فإن الله قد علم ما تنوون، وما خرجتم تطلبون"**[٢٥]

وكأنَّ سليمان أراد أن يذكِّر الناس بعلم الله ﷻ بما تخفي الصدور، حين لمزوا من وعدهم بالنصرة من أهل البصرة والمدائن حين لم يوافوهم بميعادهم.. وهذا المعنى مستقى بلا شكٍّ من القرآن الكريم، الذي يثبت في أكثر من آية علم الله ﷻ بطويَّة الإنسان

٢٤ الطبري, ٥/ ٥٩٦.
٢٥ الطبري, ٥/ ٥٨٨.

وما يسر ويعلن، قال تعالى:

﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْرًا اللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (هود:٣١)

فهذه الآية الكريمة تدلُّ على علم الله سبحانه وتعالى بما في نفوس الناس، ومثله قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ (الممتحنة:١٠)

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (لقمان:٢٣)

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تدلُّ على هذا المعنى الذي تناصّ معه المنشئ فقال قولته في الخطبة وهو واثق ممَّا يقول، لأنَّ مصدره القرآن.

ومن وظائف التناصِّ التي استعان بها الخطيب هنا، رفع حالة الشكِّ، وفرضيَّة تسقيط الآخر وتخوينه دون علمٍ يقيني، فإذا سادت هذه الأفكار بين الصفوف كانت مدعاة للتفرُّق والشعور بالخذلان وفقدان الناصر، وغياب الثقة بين المقاتلين، فعلى القائد المحنّك الحفاظ على المستوى المعنويّ والاستقرار النفسيِّ في صفوف جيشه، لضمان ثباتهم وعدم تفرُّقهم عنه.

- ومن الخطبة ذاتها نجد قول سليمان بن الصُّرَد: **"وإنَّ للدنيا تجّاراً وللآخرة تجاراً، فأما تاجر الآخرة فساعٍ إليها، متنصب بتطلابها.."**[٢٦]

وهذا المفهوم الذي يتحدَّث عنه سليمان بن الصُّرَد ليس جديداً بل هو مفهوم قرآنيٌّ، استعاره القرآن الكريم لتمثيل حال الإنسان الذي يؤمن بالله فيطلب الربح من هذا الإيمان، ويُنال الربح بالعمل الصالح وإتباع أوامر الباري ﷻ، وهذا ما نقرأه في عدَّة آيات كريمة منها، قوله تعالى:

٢٦ الطبري, ٥/ ٥٨٨.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ (فاطر:٢٩)

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الصف:١٠)

ومفهوم التجارة مرتبط طبعًا بالبيع والشراء، فالتجارة عمليَّة بيع وشراء، وحين يتحدَّث عنها القرآن أيضًا يبيِّن كيفيَّة البيع والشراء بين العبد والربِّ.

ثمَّ إنَّ من ثمار هذا التناصّ الحثّ على الإقبال على الآخرة، والسعي لها كما يسعى التاجر في تحصيل الربح.

- ثمَّ تدرَّجَ سليمان في الخطبة ذاتها بعد ذكره لمفهوم التجارة، إلى تفصيلة البيع والشراء، فقال: **"متنصب بتطلابها، لا يشتري بها ثمنًا.."** [٢٧]

وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم كثيراً، وفي آيات عدَّة، نذكر منها ما جاء في وصف اليهود والنصارى الذين يكتمون الحقَّ الذي جاءهم في كتبهم، قال تعالى: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ (البقرة:١٧٥)**

أمَّا المؤمنون فلا يطلبون بدلاً لأعمالهم سوى رضا الله سبحانه وتعالى، ولا ثمناً لأنفسهم سوى الجنَّة، قال تعالى:

﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآَنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة :١١١)

واستعمال سليمان بن الصُّرَّد لمفاهيم القرآن في خطبه دليل على تماهي فكر هذا الرجل ولغته بالآيات القرآنيَّة، فكان يعضِّد الكثير من كلامه ومواقفه بالقرآن، ويستشهد به لتثبيت من لحق به على موقفه بتعزيز كلامه بالآيات القرآنيَّة ممَّا

٢٧ الطبري, ٥/ ٥٨٨.

يطمئن نفوس مقاتليه أنَّهم على طريق الحقِّ.

ليس هذا فحسب إنَّما ينقل الخطيب المستمعين من عالم المحسوسات الواقعي إلى عالم المعقولات الذي تنجذب إليه العقول والأرواح ليخفِّف عنهم وطأة ما يمرُّون به من أزمات، وما يلاقونه من شدَّة في ساعة العسرة وهو وقت اشتداد المعركة عبر أسلوب التناصِّ القرآنيِّ.

- من خطب سليمان بن الصُّرَّد القصيرة التي أوردها الطبري، وهي التي قالها عند تخلُّف نحو ألف رجل ممَّن لحق به في مسيره لمقاتلة عدوِّه، فقال: **"ما أحبُّ أنَّ من تخلَّف عنكم معكم، ولو خرجوا معكم ما زادوكم إلَّا خبالًا؛ إنَّ الله كره انبعاثهم فثبّطهم، وخصَّكم بفضل الله، فاحمدوا ربَّكم"** [٢٨]

وأمر تخلُّف الناس والتخلِّي عن القائد أمر جلل يضعف همَّة الجيش، لأنَّه يشعر المقاتلين بالضعف وقلَّة العدد، ممَّا يحثُّ الآخرين على ترك القتال والانسحاب، وفي هذه الحالة على القائد الحكيم أن يتدارك الأمر ويحافظ على ما بقي من جنده، ولا سبيل لذلك سوى التذكير بآيات الله التي تعد بالفضل والجنَّة للمجاهدين وتذم القاعدين والمتخلِّفين، فنراه يعدُّ تخلفَ هذه الجماعة أمراً حسناً يستحقُّ أن يحمد الله ﷻ عليه، بتناصّه عبارات القرآن الكريم (ما زادوكم إلَّا خبالًا، الله كره انبعاثهم) المذكورة في قوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ؛ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (التوبة: ٤٦ _ ٤٧)

فوجود هذه الفئة المتردِّدة في طلب الثأر، يمكن أن يضعف همَّة الجيش بكامله، خاصَّة وإنَّ هذا الجيش يريد الفناء في غايته وهي المضي إلى ما مضى عليه الإمام الحسين ﷺ وورود مورده، وليس من أهدافه الربح المادِّيِّ أو ما يشابهه ممَّا تتوق إليه النفوس البشريَّة.

٢٨ الطبري, ٥/ ٥٨٩.

وهـذا الأسـلوب في التنـاصِّ يغنـي الخطيـب عـن كثـير مـن الإطالـة في الحديـث والتبريـرات، التـي قـد يقتنـع بهـا المخاطَبـون وقـد لا تلقـى تفاعلهـم ولا قناعتهـم، ولكـن إيـراد الشـاهد القـرآنيّ يعـزِّز مـن فكـرة الخطيـب، ويدعمهـا، ويؤكِّدهـا، خصوصـاً إذا طابـق الحـال مـا أورده الخطيـب مـن آيـة كريمـة.

ومـن هـذه التناصّـات الكثيرة التـي تخلَّلـت خطـب التوَّابـين عـلى قـصر مـدَّة الثـورة، نجـد اقتراناً عظيماً بـين قـادة الثـورة ونصـوص القـرآن الكريـم، إذ ظهـر التنـاصُّ في أكثـر تعبـيرات قائـد الثـورة (سـليمان بـن صُرَّد الخزاعـيّ)، وذلـك بـلا شـكٍّ يعطـي لكلماتـه قـوَّة الوقـع فضـلًا عـن ثبـوت الدلالـة وعمقهـا، ممَّـا يجـذب أفئـدة النـاس إليـه لمـا تتمتَّـع بـه ألفـاظ القـرآن الكريـم مـن حـلاوة تأخـذ بالألبـاب.

خاتمة البحث:

بعـد هـذه الوريقـات التـي تقصَّينـا فيهـا كلَّ مـا ظهـر لنـا مـن تنـاصٍّ قـرآنيٍّ في خطـب التوَّابـين يمكننـا تسـجيل عـدَّة نتائـج:

١_ للقـرآن الكريـم أثـر كبـير في نصـوص العـرب وخطبهـم بعـد نزولـه، خاصـة مـا كان لهـا طابـع دينـي، أو كانـت لغايـة قريبـة مـن الديـن، وهـذا وجـه مـن وجـوه إعجـازه وعظمتـه، بـل إنَّ أغلـب الخطـب بعـد ظهـور الإسـلام اتـكأت عـلى القـرآن لأنَّـه الدسـتور لهـذا الديـن، وهـو الـذي يحمـل فلسـفته وشرائعـه وأحكامـه، خاصَّـة بعـد اعتـماد النبـيﷺ ومـن تبعـه مـن المسـلمين عـلى فـنّ الخطابـة في إيصـال مضامـين الإسـلام للنـاس.

٢_ يسـتعمل الخطبـاء النصـوص القرآنيَّـة لتعزيـز آرائهـم ومدّهـا بالشرعيَّـة الدينيَّـة لأنَّـه الكتـاب المقـدَّس الـذي يؤمـن بـه المُخاطَبـون، وهـو الأكثـر تأثـيراً في عقيدتهـم وعواطفهـم.

٣_ جـاء التنـاصُّ القـرآنيُّ في خطـب التوَّابـين بشـكلَيه الرئيسـين المبـاشر وغـير المبـاشر، ولكـن مـا جـاء منـه تناصًّـا غـير مبـاشر كان الأكثـر وروداً، وهـذا إن دلَّ عـلى شيء فهـو

يدلُّ على تشرّب نفوس القائلين بالآيات القرآنيَّة، وكان أكثرهم خُطباً قائد ثورة التوَّابين سليمان بن الصُّرَّد الخزاعيِّ.

٤_ إنَّ جميع المفاهيم الواردة في خطب التوَّابين تحمل تناصًّا لفظيًّا أو معنويًّا مع القرآن الكريم، لأنَّ واعز الثورة الأساس دينيٌّ بحت، وأمل الانتصار في معركة تخوضها جماعة ضدَّ دولة لها جيش منظَّم وقوَّة ضاربة أمل ضعيف بعيد الاحتمال، لذا اعتمد التوَّابون على آيات الوعد بقبول التوبة والأجر والحثِّ على الصبر والثبات، لأنَّ الغاية هي رضا الله ﷻ والتكفير عن الذنب، وليس النصر الدنيويُّ؛ وقد توخَّينا الحديث عمَّا وضح من تناصَّات وأظهر انطلاقه من القرآن بلفظ ينتمي إلى القرآن الكريم ومفاهيمه السامية.

٥_ استُقِيَ اسم هذه الجماعة (التوَّابين) من القرآن الكريم أيضًا، إذ كانت ثورتهم تعبيرًا عن توبتهم وشعورهم بفداحة ذنب التخلُّف عن نصرة الحسين عليه السلام، فانطلقوا من قول الله تعالى حكاية عن قول النبي موسى عليه السلام لبني إسرائيل بعد ارتدادهم عن عبادة الله وعبادة العجل، فقال: ﴿**إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾(البقرة:٥٤)

٦_ لقد صدق التوَّابون وعدهم إذ ثبتوا في معركة (عين الوردة) حتَّى فنائهم جميعًا، ولم يبقَ منهم إلَّا نزرٌ يسير.

المصادر:

القرآن الكريم

ابن منظور, أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي. لسان العرب, ١٩٩٢.

التونجي, محمد. معجم علوم العربية. دار الجيل, ٢٠٠٣.

الجاحظ, أبو عثمان عمرو بن بحر. البيان والتبيين. بيروت, ٢٠٠٢.

الجزار, محمد فكري. لسانيات الاختلاف، الخصائص الجمالية لمستويات بناء النص في شعر الحداثة. ٢ط. القاهرة, ٢٠٠٢.

الزبيدي, مرتضى محمد بن محمد. شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس. المطبعة الخيرية, ١٨٨٨.

الزعبي, أحمد. التناص نظريا وتطبيقيا. عمان, ٢٠٠٠.

الطبري, أبي جعفر محمد بن جرير. تاريخ الطبري(تاريخ الرسل والملوك). ٥ط. مصر, د.ت.

الموسى, خليل. "التناص ومرجعياته." مجلة المعرفة, العدد٤٦٧. (٢٠٠٣).

بستاني, محمود. أدب فاطمة الزهراء عليها السلام. قم, ١٣٨٢ش.

بيضون, د. إبراهيم. التوابون. ٢ط. بيروت-لبنان: دار التعارف للمطبوعات,١٩٧٥.

حماد, حسن محمد. تداخل النصوص في الرواية العربية. الهيأة المصرية العامة للكتاب, ١٩٩٧.

قانصو, محمود. ما بعد كربلاء. ٢ط. إيران, ٢٠٠٦.

واصل, عصام حفظ الله. التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر _أحمد العواضي أنموذجاً. الأردن, ٢٠١١.

References

The Glorious Quran

Al-Jahidh, A. O. (2002). Al-Bayan wa al-Tabyin. Beirut.

Al-Jazzar, M. F. (2002). Lisanayat al-Ikhtilaf: Al-Khasais al-Jamalayya li-Mustawayat Bina' al-Nass fi Shi'r al-Hadatha (2nd ed.). Cairo.

Al-Mousa, K. (2003). Intertextuality and its references. Majallat al-Ma'rifa, (467).

Al-Tabari, A. M. (n.d.). Tarikh al-Tabari (Tarikh al-Rusul wa al-Muluk) (5th ed.). Egypt.

Al-Tunji, M. (2003). Mu'jam 'Uloom al-'Arabiyya. Dar al-Jil.

Al-Zoubi, A. (2000). Al-Tanasu: Nazariyyan wa Tatbiqan. Amman.

Al-Zubaidi, M. M.(1888). Sharh al-Qamus al-Masmu Taj al-'Arous min Jawahir al-Qamus. Al-Matba'a al-Khayriyya.

Baydoun, I. D. (1975). Al-Tawwabin (2nd ed.). Beirut, Lebanon: Dar al-Ta'aruf li al-Matbu'at.

Bustani, M. (1382 Sh). Adab Fatima al-Zahra.

Hamad, H. M. (1997). Tadakhul al-Nusus fi al-Riwaya al-'Arabiyya. Al-Hay'a al-Misriyya al-'Amma lil-Kitab.

Ibn Mandur, A. J. (1992). Lisan al-Arab.

Qansou, M. (2006). Ma Ba'd Karbala (2nd ed.). Iran.

Wasil, I. H. A. (2011). Al-Tanas al-Turathi fi al-Shi'r al-'Arabi al–Mu'asir: Ahmad al–Awadi as a Sample. Jordan.